الشّاهد الشّعريّ وتوظيفه في تفسير مفردات القرآن الكريم -تفسير (المحرّر الوجيز) لابن عطية (ت542هـ) أنموذجا-

The poetic witness and his use in interpreting the vocabulary of the Holy Quran --The interpretation of ibn Attia(d542H) is a model

تاريخ الاستلام : 2020/11/28 ؛ **تاريخ القبول :** 2022/01/09

الدّكتور/ حاج بنيرد

كلية الآداب واللّغات، جامعة مولود معمري، الجزائر

ملخص

البحث عرض لمكانة اللّغة في تفاسير المغاربة والأندلسيّين؛ ودورها في توجيه الدّلالات والمعاني، وشكّلت علوم اللّغة أهمّ آلات الفهم والاستنباط في تفاسيرهم، كردّ فعل على تعدّد المذاهب والفرق الكلاميّة وتأويلاتها المختلفة للنّصّ القرآني؛ كالمعتزلة، بينما يعتقد أغلب أهل المغرب والأندلس بمذهب الأشاعرة، ولهذا غلب على تلك التّفاسير النّزعة اللّغويّة، وقد شكّل الشّاهد الشّعريّ أهمّ مظاهر التّفسير اللّغويّ للقرآن الكريم، وتحديد معاني دلالات الألفاظ من خلال أشعار العرب، وقد أسهبوا في الاستشهاد بالشّعر العربي؛ ولو جُمعت تلك الأشعار لشكّلت دواوين ضخمة في كلّ تفسير، وعلى رأسها تفسير (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية الأندلسيّ (ت542هـ)؛ والّذي صار مصدرا لمعظم التّفاسير الّتي جاءت بعده، ولذلك اخترناه موضوعا لهذا البحث، حاولنا من خلاله تتبّع الشّواهد الشّعريّة، فاختصّ هذا البحث بعرض شواهد دلالات الألفاظ والمفردات من الجزء الأوّل منه في مقدّمات الكتاب وتفسير سورتي الفاتحة والبقرة.

الكلمات المفتاحيّة: شاهد شعريّ، علوم اللّغة، مفردات القرآن الكريم، ابن عطية، المحرّر الوجيز.

Résumé La recherche a présenté la place de la langue dans les interprétations des Maghrébins et des Andalous; Andalus est la doctrine de la poésie, et donc ces interprétations ont prévalu tendances linguistiques, et l'argument poétique a été la manifestation la plus importante de l'interprétation linguistique du Coran, et l'identification de la signification sémantique des mots à travers les poèmes des Arabes, et ils ont élaboré sur l'argument de la poésie arabe, et si ces poèmes ont été recueillis, ils auraient formé d'énormes volumes. Dans toutes les explications, et surtout l'explication (Al-mouharer Al-wajiz) d'Ibn Attia al-Andalusi (T542Ah), qui est devenu la source de la plupart des interprétations qui sont venues après lui, c'est pourquoi nous l'avons choisi comme sujet de cette recherche, à travers laquelle nous avons essayé de retracer la preuve poétique, cette recherche a été consacrée à présenter la sémantique des preuves de la sémantique et du vocabulaire de la première partie de celui-ci dans les introductions du livre et l'interprétation de la sourate fatiha et Al-baquara.

- **Mots-clés:** l'argument poétiquie, linguistique, vocabulaire du Saint Coran, Ibn Attia, Al-mouharer Al-wajiz.

Abstract The research presented the place of language in the interpretations of Maghrebs and Andalusians; its role in guiding semantics and meaning; the most important instrument of understanding and elicism in their interpretations, as a reaction to the multiplicity of different doctrines and linguistic differences and interprtatations of the holy Quran text, while most of the Maghreb and Andalus believe in the Achaari's doctrine, ant the poetic witness has been the most important feature of the linguistic interpretation of the holy Quran, and the identification of the meaning semantics of words through the poems of the Arabs, above all the explanation (Al-mouharer Al-wajiz) of Ibn Attia al-andalusi (d542h); which became the source of most of the interpretations that came after him, and therefore we chose him as the subject of this research, this research was dedicated to presenting the evidence semantics of the semantics and vocabulary of the first part of it in the introductions of the book and the interpretation of sourate fatiha and Al-baquara.

Keywords: A poetic witness, linguistics, vocabulary of the Holy Quran, Ibn Attia, el-mouharer al-wajiz.

* Corresponding author, e-mail: hbennaired@mail.com

© جامعة الاخوة منتوري قسنطينة 1، الجزائر 2022.

I – مقدمة:

يُعدُّ تفسير (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية الأندلسيّ (ت542هـ) من أشهر كتب التفسير بالمأثور، فهو تفسير جليل الفائدة عظيم النفع، ويرى البعض أنَّ ابن عطية لم يضع له عنوانا خاصًّا به؛ وإنّما ذُكر بالوصف أي "الوجيز"، وضمّنه لباب التّفاسير الّتي سبقته؛ منها تفسير الطّبريّ (ت310هـ)، وتفسير المهدويّ (ت430هـ)، وتفسير مكي بن أبي طالب القيسي (ت437هـ) وغيرهم، كما شكّلت القراءات اهتماما خاصّا فيه، فاعتمد على أمّهات كتب القراءات أنواعها وعللها ونحو ذلك؛ منها (المحتسب) لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، وقد أكثر من الإشارة إليه، وكتاب (الحجّة في علل القراءات السّبع) لأبي أبي علي الفارسي (ت377هـ)، وكتاب (التّيسير) لأبي عمرو الداني (ت444هـ)، بينما شكّلت اللّغة ركيزة هامّة في توجيه المعاني؛ إذ بحسبه هي آلة لتصحيح الفهم والرّدّ على الفرق الكلاميّة الّتي تتأوّل آي القرآن بحسب منطلقاتها الفكريّة وتوجّهاتها الكلاميّة، وتنوّعت وجوه استعمال اللّغة عند ابن عطية في تفسيره؛ بين مفردات ودلالة ومعجم وتصريف واشتقاق ونحو، بينما لم تشكّل المعاني اهتماما واضحا عنده إلّا في مواضع محدودة اقتضاها السّياق، وله ما يبرّره كون قضية المجاز في القرآن قضية أثارت الجدل قديما وحديثا، ولم يكن المغاربة والأندلسيّين بمعزل عنها، ويبدو أن لحركة الاعتزال تأثيرًا كبيرًا في توجيه التّفسير نحو الوجهة اللّغويّة عند المغاربة والأندلسيّين، ولذا عرف المعتزلة بحذق اللّغة والتّبحّر فيها وكتبهم شاهد على ذلك، بل وضعوا أساس علم البيان والمعاني، وتميّزوا بنزعتهم العقليّة؛ فاحتلّوا بذلك مكانة بارزة في تاريخ علم الكلام، واشتهروا بالتّعمّق في اللّغة وامتلاك الأساليب البيانيّة والبلاغيّة[1]، وقد استعملوا ذلك لتأويل بعض النصوص الشرعية وتوجيهها كي توافق مقولاتهم ولا تتعارض مع أصولهم، وخاصة خوضهم في المتشابهات التي أمسك السلف عن الخوض فيها[2]، ولهذا تعتبر علوم اللّغة السّاحة الأولى للاجتهادات والتّأويلات الكلاميّة والفقهيّة، وللخصومات المذهبيّة والفكريّة أيضا، كما أنّها تدفع في نحر من حمل الآيات ما لا تحتمله من دلالة المكتشفات العلميّة والنّظريات الحديثة، والاعتدال في الأمر هو حمل الكلمات على ظاهر مدلولاتها إلّا بصارف دلّ عليه الدّليل الشّرعيّ، والاعتماد في ذلك على أهل اللّسان من سلف الأمّة، ويلاحظ أنّه ربما غلب على المفسّر الاهتمام بالنّحو والإعراب؛ مثل مكّي بن أبي طالب وأبي حيان. وقد وصف عبد السّلام الكنوني الطابع المميز لتفاسير أهل المغرب والأندلس بأنّه:

– تهتم بتوثيق النص عن طريق العناية بالقراءات إسنادا ونقلا وحفظا ودراسة.

– تشغل في التفسير بفهم النص إعرابا وناسخا ونسوخا وإعجازا .

– تتّجه إلى تفسيره وتدبر معانيه واستخلاص أحكامه[3].

ولا يألُ ابن عطية جهدا في الاستشهاد لقواعد اللّغة بشواهد من الشّعر العربيّ الفصيح، الّذي هو حجّة في اللّغة والمعاني، فكثيرا ما يلتمس إيجاد تبرير دلالات مفردات القرآن الكريم في أشعار العرب وكلامهم وحكمهم وأمثالهم، أو في مواضع

---

[1] – المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعريّة، د عبد المجيد بن حمدة، دار العرب، تونس، ط1، 1986م، ص 158، 159.

[2] – ابن عاشور، محمّد الفاضل، التفسير ورجاله، دار الكتب الشرقية، تونس، ط2، 1972م، ص 42، 43.

[3] – الكنوني، عبد السّلام، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، مكتبة المعارف، الرباط، 1981م، ج1ص294.

تصريف الكلمات، أو اشتقاقها، أو عند الاحتجاج لقواعد النّحو، يحاول هذا البحث استخراج الشّاهد الشّعريّ وتوظيفه في الاحتجاج لمدلولات بعض ألفاظ القرآن الكريم، ولمّا كان الموضوع كبيرا اكتفينا بالجزء الأوّل من تفسيره؛ المتضمّن لمقدّمات تفسيره، مع تفسير سورتي الفاتحة والبقرة.

فما هي المواضع الّتي استعان فيها ابن عطية بالشّعر العربيّ في بيان مفردات القرآن الكريم؟ وما هي وجوه استعمال تلك الشّواهد وتوظيفها؟

ولذلك اعتمدت على منهج التّتبّع والاستقراء، بتتبّع جميع الشّواهد الشّعريّة في مدلولات مفردات القرآن الكريم في الجزء الأوّل من التّفسير المذكور، وتحديد مواضع استعمالها وتوظيفها، ثمّ إعادة ترتيبها والتّعليق عليها.

1.التّعريف بابن عطية: هو القاضي أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب ابن عطية المحاربيّ الأندلسيّ، ولد سنة 480هـ، وتوفي سنة 541ه أو 546هـ.

أخذ العلم عن والده الحافظ غالب بن عبد الرّحمن (ت518هـ)، والحافظ المحدّث الحسين بن محمّد الغسّاني (498هـ)، والحافظ الحسن بن محمّد بن سكرة الصّدفي (ت514هـ)، والإمام أبو الحسن عليّ ابن الباذش (ت528هـ)، والفقيه عبد الرّحمن ابن عتاب القرطبي (ت520هـ)، والفقيه محمّد بن عليّ ابن حمدين التّغلبي (ت508هـ)، والفقيه أبو بحر سفيان الأسدي (ت520هـ). وأخذ العلم عنه الأجلّة منهم؛ الإمام الحافظ ابن خير الإشبيلي (ت575هـ)، وأبو بكر محمّد ابن أبي جمرة المرسي (ت599هـ)، وأبو القاسم ابن حبيش (ت584هـ)، والفيلسوف أبو بكر محمّد ابن طفيل القيسي (ت581هـ)، والإمام أبو جعفر أحمد ابن مضاء القرطبي (ت592هـ). ولي قضاء ألمرية سنة 529هـ في آخر دولة المرابطين، واستمرّ فيه أكثر من عشر سنوات، وقد ترك ابن عطية فهرسة له، وكتابه الشّهير في التّفسير (المحرّر الوجيز).

2.(المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): لم يصرّح ابن عطية بعنوان لتفسيره في مقدّمته؛ وإنّما ذكره بالوصف فقال: "وقصدت فيه أن يكون جامعا وجيزا محرّرا، لا أذكر من القصص إلّا ما لا تنفكّ الآية إلّا به، وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقى السّلف الصّالح –رضوان الله عليهم- كتاب الله من مقاصده العربيّة السّليمة من إلحاد أهل القول بالرّموز، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم، فمتى وقع لأحد من العلماء الّذين قد حازوا حسن الظّنّ بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين، نبّهت عليه، وسردت التّفسير في هذا التّعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبّع الألفاظ حتّى لا يقع طفر كما في كثير من كتب المفسرين، ورأيت أنّ تصنيف التّفسير كما صنع المهدويّ –رحمه الله- مفرق للنّظر، مشعّب للفكر، وقصدت إيراد جميع القراءات: مستعملها وشاذّها، واعتمدت تبيين المعاني وجميع محتملات الألفاظ، كلّ ذلك بحسب جهدي وما انتهى إليه علمي، وعلى غاية من الإيجاز وحذف فضول القول .."[1]. تفسير (المحرّر الوجيز) لابن عطية المحاربي: وصف عبد الرّحمن الثّعالبيّ في مقدّمة تفسيره بالمختصر[2]؛ فقد ضمّن تفسيره ما رآه مهمّا من تفسير ابن عطية، فاختصره الثّعالبي وهذّبه ثمّ استكمل بعض جوانبه وأضاف عليه من تفاسير وكتب أخرى، والسّؤال لماذا اختار الثّعالبي تفسير ابن عطية نواة لتفسيره دون غيره؟ والجواب أنّ تفسير ابن عطية يعدّ من أحسن تفاسير الغرب الإسلامي، واحتلّ صدارة الدّرس التّفسيري في الأندلس والمغرب؛ يقول فيه ابن جزي الغرناطي: "وأمّا ابن عطية فكتابه في التّفسير أحسن التّآليف وأعدلها، فإنّه اطّلع على تآليف من كان قبله فهذّبها ولخّصها وهو مع ذلك حسن العبارة .."[3]، وقال أبو حيّان: "وكتاب ابن عطية أنقل وأجمع وأخلص، وكتاب الزّمخشريّ ألخص وأغوص"[4]، وقال ابن تيمية: "وتفسير ابن عطية وأمثاله أتبع للسّنّة والجماعة وأسلم من البدعة من تفسير الزّمخشريّ"[5].

3. منهج ابن عطية في تفسيره (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز): يندرج تفسير ابن عطية ضمن منهج التّفسير بالمأثور، وهو الغالب على تفاسير الأندلسيّين والمغاربة، حيث يورد ابن عطية الآية ويفسّرها تفسيرا بسيطا بعبارة سهلة، يغلّب التّفسير بالمأثور، فيكثر إدراج الأحاديث النّبويّة وأقوال الصّحابة والتّابعين، وينقل عن ابن جرير الطّبري بتصرّف، فيحذف بعض أقوال السّلف، ويكثر من الاستشهاد بالشّعر العربي، ويحتكم إلى اللّغة العربيّة في بعض المواضع، لغةً ونحوا وبلاغة، ويورد القراءات المختلفة ويفسّر بعضها[6]. وهو في ذلك كلّه تابع لما شاع من منهج المدرسة الأندلسيّة في التّفسير، والّتي يغلب عليها التّفسير بالمأثور، واصطبغت بصبغتهم ومناهجهم ومذهبهم الفقهي المالكيّ والعقيدة الأشعريّة والتّصوّف السّنّيّ على مذهب الإمام الجنيد، وغلب عليها الاختصار والاقتصار أثناء الاحتجاج بالأحاديث والآثار، باختصار الأسانيد والاقتصار على موضع الشّاهد فيها، وربّما أوردوها بالمعنى دون اللّفظ، ومنها الأحاديث الضّعيفة والآثار والأخبار مع التّعليق عليها أحيانا تضعيفا وتحسينا وتصحيحا وتوقّفا فيها، ويدخل ضمن هذا الاستئناس بالإسرائيليّات، فيذكرون ما وافق الكتاب والسّنّة غالبا، ويضعّفون ما خالفهما، يقول أبو بكر ابن العربي: ".. ما وافق –يقصد الإسرائيليّات- ظاهر القرآن فهو صحيح، وما خالفه فهو باطل، وما لم يرد له فيه ذكر فهو محتمل، ربّك أعلم به"[7]، ولا تخلو من الرّدود على المخالفين كالرّافضة والمعتزلة والكرامية ونحوهم ممّا يعدّ خصوما لمذهب أهل الغرب الإسلامي عموما، وكثر الاستشهاد فيها بأهل اللّغة والقراءات لتوجيه هذا المعنى أو ذاك[8]. وقد تميّز منهج المفسّرين في الغرب الإسلامي بتوخّي سهولة الأسلوب لغلبة العجمة على أهله، ورسم المنهج في مقدّمة التّفسير وبيان القواعد والخطوات الّتي سيتبعها المفسّر أثناء تفسيره، "وتكاد هذه الطّريقة أن تكون خاصّة بمفسّري الأندلس ولم يسلكها إلّا القليل من المفسّرين في المشرق"[9]. كما تميّزت بكثرة النّقول، فينقل مثلا القرطبي كثيرا عن ابن عطية وابن العربي، ونقل أبو حيّان عنهما وعن القرطبي، ونقل ابن جزي عن ابن عطية[10].

4. مصادر ابن عطية: لاشكَّ أنَّ المصادر تُعتبر النواة الأولى للمفسِّر، سواءٌ كانت هذه المصادر تَلَقِّي عن الشيوخ أو متمثِّلة في الكتب التي استفاد منها في كتابة التفسير، منها:

– **مصادر في التفسير:** يتقدّمها تفسير أبي جعفر محمّد ابن جرير الطّبريّ (ت310هـ)؛ المسمّى: (جامع البيان في تفسير القرآن)، وهو من أمّهات كتب التّفسير وأسبقها، ومع عظم قيمته إلّا أنّ الإمام ابن عطية لم يكن يوافق دائمًا أقوال ابن جرير الطبري؛ بل كان ابن عطية كثيرًا ما يُناقش الإمام الطبري فيما ذهب إليه، وهنا تتَّضح شخصية الإمام ابن عطية في نظر الباحثين. ومنها تفسير (شفاء الصدور) لأبي بكر محمد بن الحسن بن زياد الموصلي المعروف بالنقَّاش المقرئ المفسِّر، ولضعف هذا الرجل كان نقل الإمام ابن عطية عنه على حذرٍ وخِيفة فكان ينظر إلى كلامه بعين الناقد البصير فإن كان ضعيفًا نبَّه عليه وعبَّر عنه بأنَّه وهم. ومنها تفسير (التحصيل لفوائد كتاب التفصيل الجامع لعلوم التنزيل) لأبي العباس أحمد بن عمار المهدوي التميمي (ت430هـ) مقرئ أندلسي أصله من المهديَّة بالقيروان، وكان يعقّب ابن عطية عند إيراده كلامه في بعض الأحيان. ومنها تفسير (الهداية إلى بلوغ النهاية) لمكي بن أبي طالب القيسي، وكان موقف ابن عطية من هذا التفسير مشابهًا إلى حدٍّ كبير تفسير الإمام المهدوي.

– **مصادر ابن عطية في الحديث:** تُعتبر مصادر الحديث النّبويّ من أهمّ أركان التّفسير بالمأثور، فكان ابن عطية ينهل من الكتاب الكريم فإن لم يجد أخذ من السنة الصحيحة، ومن أهم دواوين الحديث النّبوي الشّريف الّتي استفاد منها: الصّحيحين؛ صحيح البخاري لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري (ت256هـ)، والمسند

الصحيح للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري (ت261هـ)، واعتمد عليهما ابن عطية كثيرًا. كما استعان بالسّنن مثل: (سنن أبي داود) لأبي داود السّجستاني (ت275هـ)، و(سنن التّرمذيّ) لأبي عيسى التّرمذي (ت279هـ)، و(سنن النسائي) للإمام النّسائيّ (ت303هـ). وغير ذلك من المصادر.

– **مصادره في علم القراءات:** تفسير ابن عطية مليء بالقراءات مستعملها وشاذّها، فكان اعتماده على مصادر كثيرة من أبرزها: (المحتسب)، لأبي الفتح عثمان بن جني (ت392هـ)، وقد أكثر من الإشارة إليه، وكتاب (الحجّة في علل القراءات السّبع) لأبي أبي علي الفارسي، توفي ببغداد سنة 377هـ. وكتاب (التّيسير) لأبي عمرو الداني (ت444هـ)، وكان ابن عطية ينقل منه كثير وهذا يتضح لقارىء الكتاب.

– **مصادر ابن عطية في اللغة والنحو والمعاني:** اعتمد ابن عطية بشكل واضح على مصادر علوم اللّغة وأنواعها؛ منها: كتاب (معاني القرآن) لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت217هـ)، وكتاب (معاني القرآن) لأبي إسحاق إبراهيم الزجاج (ت311هـ)، وكتاب (الإغفال فيما أغفله الزجَّاج من المعاني) لأبي علي الفارسي، وكتاب (مجاز القرآن) لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت209هـ)، و(الكتاب) لسيبويه (ت180هـ)، وكتاب (المقتضب) لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد (ت285هـ)، وكتاب (العين) للخليل بن أحمد الفراهيدي (ت170هـ)، وكتاب (إصلاح المنطق) لابن السكيت (ت244هـ)، وكتاب (الفصيح) لأبي العباس ثعلب (ت291هـ)، وكتاب (المجمل في اللغة) لأحمد بن فارس (ت395هـ)، وكتاب (المخصَّص) لابن سيده الأندلسي (ت458هـ).

– **مصادر ابن عطية في الفقه:** اعتمد ابن عطية في تفسيره أساسا على كتب المذهب المالكي؛ مذهب أهل المغرب والأندلس؛ منها: كتاب (الموطَّإ) للإمام مالك بن أنس (ت179هـ)، وهو في الأساس كتاب حديث، وكتاب (المختصر) لابن أعين (ت214هـ) من أصحاب الإمام مالك، وكتاب (المدونة) وهي أصل المذهب المالكي وعمدته؛ للإمام سحنون من روايته عن ابن القاسم عن الإمام مالك، وكتاب (الواضحة) لعبد الملك بن حبيب السلمي الأندلسيّ (ت183هـ)، وكتاب (التفريع) لأبي القاسم بن الجلاب (ت378هـ)، وكتاب (الإشراف على مذاهب أهل العلم) لأبي بكر محمد ابن المنذر النيسابوري (ت309هـ)[11].

5. قيمة تفسير ابن عطية: تظهر قيمة هذا التّفسير في استمداد كتب التّفاسير اللّاحقة عليه منه؛ سيّما تفاسير المغاربة والأندلسيّين؛ يتقدّمها تفسير (الجامع لأحكام القرطبيّ) للإمام أبي عبد الله القرطبي (ت671هـ)، وتفسير (التّسهيل لعلوم التّنزيل) لأبي القاسم ابن جزي الغرناطي (ت741هـ)، وتفسير (البحر المحيط) لأبي حيّان الأندلسي (ت745هـ)؛ وقد نقلوا منه نصوصا وجعلوه مصدرا رئيسيّا لهم[12]، وابن عطية كمفسر أندلسي "كان له أثر على التفسير في المنطقة فقد جمع بين مشكلاته ومشكلات الزمخشري ابن بزيزة في تفسيره الموسوم بـ: (البيان والتحصيل)، واستفاد منه جمع ونقلوا عنه ومنهم الثعالبي الذي يعتبر ملخصا ومهذبا له، وتفسير (الجواهر الحسان في تفسير القرآن) لأبي زيد عبد الرّحمن الثّعالبيّ (ت875هـ)، الّذي اختصره الثّعالبيّ وجعله نواة تفسيره، وابن عاشور الذي نقل عنه في مواضع عدة من تفسيره، وقام يحيى الشاوي المليانى (ت1096هـ) بتأليف كتابه (المحاكمات)؛ وهو حاشية على تفاسير ابن عطية وأبي حيان والزمخشري، كما قام بتدريسه بعض مفسري المغاربة ومنهم : هاشم بن محمد المدغري (ت1265هـ)"[13].

6- منهجه في توظيف اللّغة في تفسيره: وضّح ابن عطية منهجه في استعماله للّغة في مقدمة التّفسير؛ حيث قال: ".. وأثبت أقوال العلماء في المعاني منسوبة إليهم على ما تلقّى السّلف الصّالح –رضوان الله عليهم- كتاب الله من مقاصده العربيّة السّليمة من إلحاد أهل القول بالرّموز، وأهل القول بعلم الباطن وغيرهم، فمتى وقع لأحد من

العلماء الّذين قد حازوا حسن الظّنّ بهم لفظ ينحو إلى شيء من أغراض الملحدين، نبّهت عليه، وسردت التّفسير في هذا التّعليق بحسب رتبة ألفاظ الآية من حكم، أو نحو، أو لغة، أو معنى، أو قراءة، وقصدت تتبّع الألفاظ حتّى لا يقع طفر –أي الخطأ- كما في كثير من كتب المفسرين .."[14]. فقد اعتمد على اللّغة والنّحو في بيان معاني المفردات وإعراب الكلمات وتصريف المشتقّات، فعني عناية تامّة بتحديد معنى الكلمات، وشرح مدلولات المفردات، ويكثر في تفسيره من الشّواهد الشّعريّة على معاني القرآن، كما يكثر من ذكر الوجوه الإعرابيّة في الآية، وبيان المذاهب النّحويّة، ونجده مقلّا في الاهتمام بالأسرار البلاغيّة والبيانيّة، والإقلال من ذلك سمة من سمات تفاسير المغاربة والأندلسيّين.

II- الشّواهد الشّعريّة للمفردات: لا تكاد تخلو فائدة لغويّة أو شرح لمفردة من مفردات القرآن الكريم؛ إلّا أورد ابن عطيّة شاهدا شعريّا لها؛ منها:

1. شواهد من مقدّمات التّفسير:

–كلمة "القرآن" وهو الذّكر والكتاب والفرقان، ومن معاني القرآن من قرأ يقرأ التّلاوة، ومن معانيه التّاليف؛ وبهذا فسّر قتادة قوله تعالى: (إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقِرْآنَه) [القيامة: 17] أي تأليفه، وهذا نحو قول عمرو بن كلثوم: [الوافر]

ذِرَاعَيْ بَكْرٍ أَدْمَاءَ بِكْرٍ هِجانُ اللَّوْنِ لَمْ تَقْرَأْ جَنينَا

أي لم تجمع في بطنها ولدا، ومال ابن عطية إلى القول الأوّل أقوى؛ ومنه قول حسّان بن ثابت في رثاء عثمان بن عفّان[15]: [البسيط]

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السُّجُودِ بِهِ يُقَطِّعُ اَللَّيْلَ تَسْبِيحاً وَقُرْآنَا

–كلمة "سورة": تنطقها قريش وهذيل وسعد بن بكر وكنانة "سورة" بغير همز، وتنطقها تميم وغيرها بالهمز "سؤرة"، فأمّا من همز فهي بمعنى البقية من الشّيء والقطعة منه، وأسأر إذا أبقى؛ ومنه شعر الأعشى الكبير[16]: [المتقارب]

فَبَانَتْ وَقَدْ أَسْأَرَتْ فِي الْفُؤَا دِ صَدْعاً عَلَى نَأْيِهَا مُسْتَطِيرا

أي أبقت فيه، وأمّا من لا يهمز فتحتمل المعنى المتقدّم بتسهيل الهمزة، وتحتمل معنى سورة البناء؛ أي القطعة منه، ويطلق أيضا على المكانة الرّفيعة من المجد والملك؛ يقول النّابغة للنّعمان بن المنذر: [الطّويل]

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اَللهَ أَعْطَاكَ سَوْرَةً تَرَ كُلَّ مَلْكٍ دُونَهَا يَتَذَبْذَبُ

و"الآية" العلامة؛ ومنه قول الأسير الموصي إلى قومه باللّغز: "بآية ما أكلت معكم حيسا".

–وفي معنى "الشّيطان" في الاستعاذة؛ على وزن "فَيْعال" من شطن إذا بعُد؛ لأنّ بعد عن الخير والرّحمة؛ قال الأعشى[17]: [الوافر]

نَأَتْ بِسُعَادَ عَنْكَ نَوًى شَطُوفُ فَبَانَتْ وَالْفُؤَادُ بِهَا رَهِينُ

ومنهم من جعل "شيطان" على وزن "فعلان"؛ من شاط يشيط إذا هاج وأحرق ونحوه؛ وتعقّب ابن عطية ذلك بأنّ لا يصحّ لأنّ سيبويه قد حكى أنّ العرب تقول تشيطن فلان إذا فعل أفاعيل الشّياطين، ولو كان من شاط لقالوا تشيّط، ويؤيّده قول أمية بن أبي الصّلت[18]: [الخفيف]

أَيُّمَا شَاطِنٍ عَصَاهُ عَكَاهُ ثُمَّ يُلْقَى فِي السِّجْنِ وَالأَكْبَالِ

2. شواهد من تفسير سورة الفاتحة:

–كلمة "ربّ": بمعنى المعبود والسّيّد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، ومن شواهد معاني كلمة "رب" من شعر العرب؛ منها: [الطّويل]

أَرَبٌّ يَبُولُ الثُّعْلُبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ هَانَ مَنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الثَّعَالِبُ

ومن شعر لبيد: [الطّويل]

وَأَهْلَكْنَ يَوْماً رَبَّ كِنْدَةَ وَابْنَهُ وَرَبَّ مَعَدٍّ بَيْنَ خَبْتٍ وَعَرْعَرِ

ومن شعر النّابغة: [الطّويل]

تَخبُّ إلى النُّعْمانِ حتّى تَنَالُهُ فِدىً لَكَ مِنْ رَبٍّ طَرِيفي وتَالِدِي

ومن شعر الفرزدق: [البسيط]

كَانُوا كَسَالِئَةٍ حَمْقَاءَ إِذْ حَقَنَتْ سِلَاءَهَا فِي أَدِيمٍ غَيْرِ مَرْبُوبِ

ومن شعر علقمة بن العبد: [الطّويل]

وَكُنْتُ اُمِرُؤاً أَفْضَتْ إِلَيَّ رَبَابَتِي وَمِن قَبلُ رَبّتنِي فَضَعت رَبُوبُ

ومن شواهد النّثر في معاني كلمة "رب" بمعنى الملك قول صفوان بن أمية لأخيه يوم حنين: "لأن يربني رجل من قريش خير من أن يربني رجل من هوازن"، ومنه قول ابن عبّاس في شأن عبد الله بن الزّبير وعبد الملك بن مروان: "وإن كان لابدّ لأن يربني رجل من عمّي أحبّ إليّ من أن يربني غيرهم"[19]. بينما اكتفى الثّعالبي بالمعاني المختلفة لكلمة (الرّبّ) دون إيراد للشّواهد الّتي ذكرها ابن عطية؛ وقد صاغها كما يلي: "والرّبّ في اللّغة المعبود، والسّيّد المالك، والقائم بالأمور المصلح لما يفسد منها، فالرّبّ على الإطلاق هو ربّ الأرباب على كلّ جهة، وهو الله تعالى"[20].

-كلمة "ملك": قد ذكر فيها كثيرا من الشّواهد في (مَلِكِ يَوْمِ اَلدِّين)، استطرد في إيراد شواهد الشّعر، وبلغت أربعة عشر شاهدا شعريّا؛ لتعدّد قراءاتها وتوجيهها، منها[21]: [الكامل]

وَاعْلَمْ يَقِيناً أَنَّ مُلْكَكَ زَائِلٌ وَاعْلَمْ بَأَنَّ كَمَا تُدِينُ تُدَانُ

وفي قراءة (مَلِكِ يَوْمِ اَلدِّين)؛ "مالك"، "ملْك" بالسّكون، "ملكي" بإشباع الكاف، "مَلِكَ" بفتح الكاف ومثلها بالأشباع "مالكَ"، وهذا على النّداء توطئة لقوله تعالى: (إِيَّاكَ)، ووجّهها الطبري بتقدير: قولوا: (الحمدَ لله)، وذكر أيضا أنّ من فصيح كلام العرب الالتفات من الغيبة إلى الحضور والعكس، كقول أبي كبير الهذلي[22]: [الكامل]

يَا وَيْحَ نَفْسِي كانَ جَلْدَة خالِدٍ وَبَيَاضُ وَجْهِكَ لِلتُّرابِ الأَعْفَرِ

-كلمة "نعبد": حذف شاهدا شعريّا واحدا في تفسير (نعبد)؛ بمعنى الطّريق المذلّل، وهو قول طرفة[23]: [الطّويل]

تُبَارِي عِتَاقَ النّاجِياتِ وَاَتْبَعَتْ وَظِيفاً وَظِيفاً فَوْقَ مَوْرٍ مَعْبَدِ

-كلمة "اهدنا": وفي معنى الهدى بمعنى اسم من أسماء النّهار؛ يقول ابن مقبل[24]: [البسيط]

حَتّى استَبَنْتَ الهُدَى وَالبِيدُ هَاجِمَةٌ يَخْشَعْنَ فِي الآلِ غُلْفاً أَوْ يَصْلِينَا

-كلمة "الصّراط": الطّريق الواضح؛ وهو قول جرير: [الوافر]

أَمِيرُ المُؤْمِنِينَ عَلَى صِرَاطٍ إِذَا اِعْوَجَّ المَوارِدُ مُسْتَقِيمُ

-وفي قوله تعالى: (وَلَا الضَّالِّين)؛ في قراءة أيوب السّختياني "الضّألين" بالهمز، ومن "جأن" في "جان", و"دأبة" في "دابة"، ومنه قول كثير: [الطّويل]

إِذَا العَوَالِي بِالعَبِيطِ اِحْمَأَرَّتْ

3. شواهد من تفسير سورة البقرة:

- في قوله تعالى: (الم): في دلالات الحروف المقطّعة في بدايات السّور حذف شواهد شعرية مع حذف أصلها؛ قول للوليد بن المغيرة:[25] [الرّجز]

قُلْنَا لَهَا قِفِي قَالَتْ قَاف

أراد: وقفت؛ أي أنّ حرف القاف له دلالة التوقّف.

وبيت لزهير: [الرّجز]

بِالْخَيْرِ خَيْرَاتٌ وَإِنْ شَرٌّ فَا وَلَا أُرِيدُ اَلشَّرَّ إِلَّا أَنْ تَا

أراد: وأن شرّا فشرّ، وإلّا أن تشاء.

-وفي شواهد معنى (يُقِيمُونَ اَلصَّلَاة)[26]؛ بمعنى الإظهار والإثبات، كما يُقال: أُقيمت السّوق، ومنه قول الشّاعر: [الكامل]

وَإِذَا يُقَالُ أَتَيْتُمْ لَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى تُقِيمَ الْخَيْلُ سُوقَ طِعَانِ

وقول الآخر: [المتقارب]

أَقَمْنَا لأَهْلِ العِرَاقِ سُوقَ اَلـ طِّعَانِ فخامُوا وَوَلَّوا جَمِيعا

وفي معنى "أقيموا" لغة في قوله تعالى: (وَأَقِيمُوا الصَّلَاة)؛ بمعنى الظّهور قول الشّاعر[27]: [الكامل]

وَإِذَا يُقَالُ أَتَيْتُمُ لَمْ يَبْرَحُوا حَتَّى تُقِيمَ الخَيْلُ سُوقَ طِعانِ

وفي نفس الموضع يستشهد لمعنى الرّكوع في اللّغة الانحناء، كقول لبيد: [الطّويل]

أُخَبِّرُ أَخْبارَ القُرونِ الَّتِي مَضَتْ أَدُبُّ كَأَنِّي كُلَّما قُمْتُ رَاكِعُ

ويستعار أيضا في الانحطاط في المنزلة؛ قول الأضبط بن قريع: [الخفيف]

لَا تُعادِ الضَّعيفَ عَلَّكَ أَنْ تَرْ كَعَ يَوْماً والدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهْ

-في قوله تعالى: (المُفْلِحُون)؛ في معنى الفلاح الظّفر بالبغية وإدراك الأمل قول لبيد[28]: [الرّمل]

اِعْقِلِي إِنْ كُنْتِ لَمَّا تَعْقِلِي وَلَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ كَانَ عَقَلْ

وكقوله: [الطّويل]

وَنَرْجُو اَلْفَلَاحَ بَعْدَ عَادٍ وَحِمْيَرِ

وقول الأضبط: [المنسرح]

لِكُلِّ هَمٍّ مِنَ الهُمُومِ سَعَهْ وَاَلصُّبْحُ وَالْمُسْيِ لَا فَلَاحَ مَعَهْ

-كلمة "كفر": وفي معاني الكفر لغة بمعنى التّغطية والسّتر استشهد بشعر لبيد[29]: [الكامل]

فِي لَيْلَةٍ كَفَرَ النُّجُومَ غَمامُها

وشعر ثعلبة بن صغيرة: [الكامل]

فَتُذَكِّرُ ثِقْلاً رَثيداً بَعْدَمَا أَلْقَتْ ذَكَاءَ يَمِينِهَا فِي كَافِرِ

-كلمة "سواء": وفي معنى (سواء عليهم) معتدل عندهم استشهد بشعر الأعشى تبعا: [الطّويل]

وَلَيْلٍ يَقُولُ اَلنَّاسُ مِنْ ظُلُمَاتِهِ سَواءٌ صَحيحاتُ العُيونِ وعُورُها

وأعاد شرحها في تفسير قوله تعالى: (وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ اَلسَّبِيل)؛ في معنى السّواء من كلّ شيء الوسط والمعظّم؛ قال حسّان بن ثابت في رثاء النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-[30]: [الكامل]

يَا وَيْحَ أَنْصَارِ اَلنَّبِيِّ وَرَهْطِهِ بَعْدَ الْمُغَيَّبِ فِي سَوَاءِ الْمَلْحَدِ

-كلمة "غشاوة": وفي معنى (الغشاوة) الغطاء المغشّي السّاتر استشهد بشعر النّابغة[31]: [البسيط]

هَلّا سَأَلْتِ بَنِي ذُبْيَانَ مَا حَسْبِي إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الأَشْمَطَ البَرِما

وشعر الحارث بن خالد المخزومي: [الطّويل]

تَبِعْتُكَ إِذْ عَيْنِي عَلَيْهَا غِشاوَةٌ فَلَمّا انْجَلَتْ قَطَّعْتُ نَفْسي أَلُومُها

-كلمة "السّفهاء": وفي معنى (السّفهاء)، الخفّة والرّقّة؛ ومنه ثوبٌ سفيه إذا كان رقيقا مهلهل النّسج، ومنه قول ذي الرّمّة[32]: [الطّويل]

مَشِينٌ كَمَا اِهْتَزَّتْ رِيَاحٌ تَسَفَّهَتْ أَعالِيَهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّوَاسِمِ

-كلمة "مستهزئون": وفي معنى قوله تعالى: (مُسْتَهْزِئُون)؛ أنّ استهزأ وهزئ بمعنى واحد، كاستعجب وعجب، ومن قول أوس بن حجر[33]: [الطّويل]

وَمُسْتَعْجِبٍ مِمَّا يَرَى مِنْ أَنَاتِنَا وَلَوْ زَبِنَتْهُ اَلْحَرْبُ لَمْ يَتَرَمْرَمِ

-كلمة "صيّب": ومن شواهد (كَصَيِّب) لغة بمعنى المطر؛ قول علقمة بن عبدة[34]: [الطّويل]

كَأَنَّهُمْ صَابَتْ عَلَيْهِمْ سَحَابَةٌ صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

-في معاني "ظلمات": وفي معاني (ظلمات) ومراتبها؛ وجمعها إشارة إلى ظلمة اللّيل وظلمة الدّجن، ومن حيث تتراكب وتتزايد جُمعت، وكون الدّجن مظلما غمّ وهول بخلاف دجن السّحاب إذا انجلى فإنّه سارّ جميل، ومنه قول قيس ين الخطيم[35]: [المتقارب]

فَمَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْقَطَا كَأَنَّ الْمَصابيحَ حَوذَانُها

بِأَحْسَنَ مِنْهَا وَلَا مُزْنَةٌ دَلُوحٌ تَكشَّفُ أَدْجانُها

-كلمة "أزواج": وفي (أَزْوَاج) مفرده زوج يُطلق على الرّجل والمرأة أيضا، وفي جواز تأنيثه للمرأة، استشهد بشعر الفرزدق[36]: [الطّويل]

وَإِنَّ اَلَّذِي يَسْعَى لِيُفْسِدَ زَوْجَتِي كَسَاعٍ إِلَى أُسْدِ اَلشَّرَى يَسْتَعِيلُهَا

-وفي معاني (خَلَق) بمعنى الاختراع والإيجاد من العدم، وقد يقال في الإنسان بعد إنشائه شيئا، ومنه قول زهير[37]: [الكامل]

ولأَنْتَ تَفْرِي مَا خَلَقْتَ وَبَعْضُ اَلْقَوْمِ يَخْلُقُ ثُمَّ لَا يَفْرِي

-وفي قوله تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَة) الآية، في لفظ "الملائكة" مفرده ملك، قيل أصله ملاك، من لاك إذا أرسل، وقيل أصله مألك بالهمزة، فعله "ألك" إذا أرسل، ومنه قول عدي بن مالك[38]: [الرّمل]

أَبْلِغِ النُّعْمَانَ عَنِّي مَأْلِكاً أَنَّهُ قَدْ طَالَ حَبْسِي وَاِنْتِظَارِي

ومن شواهد "مَلَأك" في الشّعر: [الطّويل]

فَلَسْتِ لإِنْسِيٍّ وَلَكِنْ لِمَلْأَكٍ تَنَزَّلَ مِنْ جَوِّ اَلسَّمَاءِ يَصُوبُ

-وفي (السَّلْوَى) يأتي بالشّاهد ليخطّئه، قال الكسائي: السلوى واحدة جمعها سلاوى، والسّلوى اسم مقصور لا يظهر فيه الإعراب، لأنّ آخره ألف، و الألف حرف هوائيّ أشبه الحركة فاستحالت حركته ولو حرّك لرجع حرفا آخر، وقد غلط الهذلي؛ فقال: [الطّويل]

وَقَاسَمَهُمَا بِاللهِ عَهْداً لأَنْتُمُ أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إِذَا مَا نَشُورُهَا

ظنّ السّلوى العسل[39]. وعلّق عليه الثّعالبيّ بتعقيب الصّفاقسيّ عليه: "قد نقل صاحب المختصر أنّه يطلق على العسل لغة فلا وجه لتغليطه، لأنّ إجماع المفسّرين لا يمنع من إطلاقه لغة بمعنى آخر غير الآية"[40].

-وفي قوله تعالى: (وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اَللهِ)؛ في معنى "باء" قال: بُؤت بكذا إذا تحمّلته، واستشهد بقول مهلهل ليحيى بن الحارث بن عباد: "بُؤْ بِشِسْعِ نَعْلِ كُلَيْب"[41].

-وفي معنى يهود لغة من هاد يهود إذا تاب؛ وسمّوا بذلك لقولهم: (إِنَّا هُدْنَا إِلَيْك) أي تبنا، ومنه قول الشّاعر: [السّريع]

إِنِّي أُمْرُؤٌ مِنْ مِدْحَتِي هَائِد

وحكى الزّهراوي أنّ التّهويد النّطق في سكون ولين ووقار؛ وأنشد[42]: [الطّويل]

وَخُودٍ مَنَ اَللَّائِي تَسْمَعْنَ بِالضُّحَى قَرِيضِ الرّدافى بِالغِناءِ المُهوّدِ

ويضيف لنا إضافة في موضع آخر في تفسير قوله تعالى: (وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُوداً أَوْ نَصَارَى)؛ قال:"هود جمع هائد، مثل عائد وعود، ومعناه التّائب الرّاجع، ... وقيل هو مصدر يوصف به الواحد والجمع؛ كفطر وعدل ورضا، وقال الفرّاء: أصله يهوديّ حُذفت ياءاه على غير قياس"[43].

والنّصارى واحده نصران ونصرانة كندمان وندمانة وندامى؛ وأنشد: [الطّويل]

فَكِلْتَاهُمَا خَرَّتْ وَأَسْجَدَ رَأْسُهَا كَمَا سَجَدَتْ نَصْرَانَةٌ لَمْ تَحَنَّفِ

وأنشد الطّبريّ: [الطّويل]

يَظَلُّ إِذَا دَارَ الْعَشِيُّ مُحَنَّفا وَيَضْحَى لَدَيْهَا وَهْوَ نَصْرَانُ شَامِسُ

–وفي شواهد معنى "رغدا" في قوله تعالى: (وَكُلَا مِنْهَا رَغَدا)، والرّغد العيش الهنيّ، استحضر شعر امرئ القيس[44]: [الرّمل]

بَيْنَمَا المَرْءُ تَراهُ نَاعِماً يَأْمَنُ الأَحْداثَ في عَيْشٍ رَغَدْ

–ومن شواهد معنى الظّلم بمعنى وضع الشّيء في غير موضعه، ومنه عدم نزول المطر في وقته، قول عمرو بن قمئة[45]: [الكامل]

ظَلَمَ البِطَاحَ اِنْهَلَالُ حَرِيصَةٍ فَصَفَا النِّطَافُ لَهُ بُعَيْدَ المَقْلَعِ

–وفي شواهد كلمة (مَتَاع)، أتى بشاهد لسليمان بن عبد الملك حين وقف على قبر ابنه أيّوب إثر دفنه[46]: [الطّويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرٍ غَرِيبٍ بِقَفْرَةٍ مَتاعٌ قَليلٌ مِنْ حَبيبٍ مُفارِقِ

وفي قوله تعالى: (وَمَنْ كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ...) الآية، أصل المتاع الزّاد، ثمّ استعمل فيما يكون آخر أمر الإنسان أو عطائه أو أفعاله، كقول سليمان بن عبد الملك[47]: [الطّويل]

وَقَفْتُ عَلَى قَبْرٍ غَرِيبٍ بِقَفْرَةٍ مَتَاعٌ قَلِيلٌ مِنْ حَبِيبٍ مُفَارِقِ

–وفي معنى الطّور؛ هو اسم جبل بعينه، وقيل اسم لكلّ جبل؛ كقول العجّاج[48]: [الرّجز]

دَانَى جَنَاحَيْهِ مِنَ اَلطُّورِ فَمَرْ تَقَضّي البَازي إِذَا البَازِي كَسَرْ

–وفي معنى (فَارِض)؛ الهرمة المسنّة الّتي لا تلد، ويقال لكلّ ما قدم وطال أمده فارض؛ كقول العجاج[49]: [الرّجز]

يَا رَبِّ ذِي ضَغَنٍ عَلَيَّ فَارِضٌ لَهُ قَرُوءٌ كَقُرُوءِ الْحائِضِ

وأعاد الاستشهاد به في تفسير قوله تعالى: (وَاَلْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوء)؛ في شرح كلمة "قرء"، بمعنى الوقت المعتاد تردّده، وأضاف من قول الأعشى[50]: [الطّويل]

أَفِي كُلِّ عَامٍ أَنْتَ جَاشِمُ غَزْوَةٍ تَشُدُّ لأَقْصَاهَا عَزِيمَ عَزائِكَا
مُوَرِّثَةً مَالاً وَفِي الحَيِّ رِفْعَةٌ بِمَا ضَاعَ فِيهَا مِنْ قُرُوءِ نِسَائِكَا

–وفي معنى (صَفْرَاء) قيل معناه سوداء، وهذا شاذّ لا يستعمل مجازا إلّا في الإبل، وبه فسّر شعر الأعشى[51]: [الخفيف]

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي هُنَّ صُفْرٌ أَوْلَادُهَا كَالزَّبِيبِ

–وفي قوله تعالى: (أَنْ طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَاَلرُّكَّعِ اَلسُّجُود)، في معنى العكوف أي اللّزوم قول العجّاج[52]: [الرّجز]

عَكَفَ اَلنَّبِيطُ يَلْعَبُونَ الفَنْزَجَا

–وفي تفسير قوله تعالى: (فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِين)؛ بمعنى الشّاكّين استشهد ابن عطية بما أنشده الطّبريّ من شعر الأعشى: [المتقارب]

تُدِرُّ عَلَى أَسْوُقِ المُمْتَرِينَ رَكْضاً إِذَا مَا اَلسَّرَابُ أَرْجَحْنَ

قال: ووهم في ذلك لأنّ أبا عبيدة وغيره قالوا: الممترون في البيت هم الّذين يمرّون الخيل بأرجلهم همزا لتجري كأنّهم يحتلبون الجري منها، فليس في البيت معنى من الشّكّ كما قال الطّبريّ"[53].

–وفي تفسير قوله تعالى: (إِنَّ اَلصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اَللهِ)؛ في كلمة "الصّفا"، قيل جمع صفاة، وقيل اسم مفرد جمعه صفى وأصفاء؛ وهي الصّخرة العظيمة، قال الرّاجز[54]:

مَوَاقِعُ اَلطَّيْرِ عَلَى اَلصَّفَا

و"المروة" واحده المرو؛ وهي الحجارة الصّغار الّتي فيها لين، وقيل: الصّلاب، كقول الشّاعر: [الوافر]

وَتَوَلَّى الأَرْضَ خِفًّا ذَابِلاً فَإِذَا مَا صَادَفَ الْمَرْوَ رَضَخْ

والصّحيح أنّ المرو الحجارة صليبها ورخوها الّذي يتشظّى وترقّ حاشيته، وفي هذا يُقال المرو أكثر، وقد يُقال في الصّليب، كقول أبي ذؤيب: [الكامل]

حَتَّى كَأَنِّي لِلْحَوَادِثِ مَرْوَةٌ بِصَفَا المَشْقَرِ كُلَّ يَوْمٍ تَقْرَعُ

-وحجّ قصد وتكرّر، ومنه قول الشّاعر: [الطّويل]

وَأَشْهَدُ مِنْ عَوْفٍ حُلُولاً كَثِيرَةً يَحُجُّونَ سَبَّ الزَّبْرَقَانِ المُزَعْفَرَا

ومنه قول الآخر: [البسيط]

يَحُجُّ مَأْمُومَةً فِي قَعْرِهَا لَجَفُ

-وفي تفسير قوله تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ اَلسَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاِخْتِلَافِ اَللَّيْلِ وَاَلنَّهَار) الآية؛ في شرح كلمة "اختلاف" أي يخلف بعضهما بعضا فهما خلفة؛ كما في قول زهير: [الطّويل]

بِهَا الْعِينُ وَالْأَرْآمُ يُمْسِينَ خِلْفَةً وَأَطْلَاؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ

وقال الآخر: [المديد]

وَلَهَا بِالمَاطِرُونِ إِذَا أَكَلَ اَلنَّمْلُ اَلَّذِي جَمَعَا
خِلْفَةٌ حَتَّى إِذَا اِرْتَبَعَتْ سَكَنَتْ مِنْ جِلِّقٍ بِيَعَا

-وفي معنى النّهار من طلوع الفجر إلى غروب الشّمس شرعا، وأمّا لغة فهو من وقت الإسفار إذا اتّسع وقت النّهار؛ ومنه[55]: [الطّويل]

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرَتْ فَتْقَهَا يَرَى قَائِمٌ مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا

-وفي معنى "دابّة" في قوله تعالى: (وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّة)؛ معناها يشمل كلّ الحيوانات، وقد أخرج بعضهم الطّير من الدّوابّ، وهو مردود، قال الأعشى: [الطّويل]

دَبِيبَ قَطَا البَطْحَاءِ فِي كُلِّ مَنْهَلِ

وقال علقمة[56]: [الطّويل]

صَوَاعِقُهَا لِطَيْرِهِنَّ دَبِيبُ

-وفي تفسير قوله تعالى: (وَقَالَ اَلَّذِينَ اِتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً ..) الآية؛ في شرح "كرّة" أي العودة إلى حال قد كانت؛ كقول جرير[57]: [الكامل]

وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فِزَارَةَ عَطْفَةً كَرَّ الْمَنِيحِ وَجُلْنَ ثَمَّ مَجَالَا

-وفي شرح كلمة "الفحشاء" في قوله تعالى: (إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء) الآية؛ أصل الفحش قبح المنظر كما قال امرؤ القيس[58]: [الطّويل]

وَجِيدٍ كَجِيدِ اَلرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ

-وفي شرح "ألفينا" في قوله تعالى: (قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) الآية؛ بمعنى وجدنا، قال الشّاعر[59]: [المتقارب]

فَأَلْفَيْتُهُ غَيْرَ مُسْتَعْتِبٍ وَلَا ذَاكِرِ اَللهِ إِلَّا قَلِيلَا

-وفي قوله تعالى: (وَمَثَلُ اَلَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ اَلَّذِي يَنْعِقُ) الآية؛ النّعيق زجر الغنم والصّياح بها، قال الأخطل: [الكامل]

اِنْعَقْ بِضَأْنِكَ يَا جَرِيرُ فَإِنَّمَا مَنَّتْكَ نَفْسُكَ فِي الخَلَاءِ ضَلَالَا

وضُرب المثل بالضّأن لأنّها من أحمق الحيوانات، وضرب المثل براعي الضّأن؛ فقيل: أحمق من راعي ضأن ثمانين[60]: [البسيط]

أَصْبَحْتُ هُزْءاً لِرَاعِي الضَّأْنِ يَهْزَأُ بِي مَاذَا يَرِيبُكَ مِنِّي رَاعِيَ اَلضّانِ

-وفي قوله تعالى: (إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ المَيْتَة ...) الآية؛ في ضبط كلمة "ميت" بالتّشديد "ميّت" والتّخفيف "ميْت" لغتان، وقيل "مَيْت" من لم يمت بعد؛ ومنه قول الشّاعر: [الطّويل]

لَيْسَ مَنْ مَاتَ فَاسْتَرَاحَ بِمَيْتٍ إِنَّمَا المَيْتُ مَيِّتُ الأَحْيَاءِ

وأمّا قول الشّاعر: [الوافر]

إِذَا مَا مَاتَ مَيْتٌ مِنْ تَمِيمٍ فَسَرَّكَ أَنْ يَعِيشَ فَجِئْ بِزَادِ

فالأبلغ في الهجاء أن يريد الميت حقيقة، وقد ذهب بعض النّاس إلى أنّه أراد من شارف الموت والأوّل أشعر ..."[61].

-وفي قوله تعالى: (فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّار) الآية؛ "أصبر" بمعنى اضطرّ وحبس، كما تقول أصبرت زيدا على القتل؛ كقول الشّاعر[62]: [السّريع]

قُلْتُ لَهَا أَصْبُرُهَا دَائِبا أَمْثَالُ بِسْطَامِ بْنِ قَيْس قَلِيلْ

-وفي قوله تعالى: (فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهْ شَيْء)؛ في كلمة "شيء"؛ اسم عامّ لهذا وغيره، وله نظائر في كتاب الله تعالى؛ منها قوله تعالى: (وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئا)، قال الأخفش: لا تضرّونه ضرّا، ومن ذلك قول أبي خراش[63]: [الطّويل]

فَادَيْتُ شَيْئاً وَالدَّرِيس كَأَنَّمَا يُزَعْزِعُهُ وِرْدٌ مِنَ المُومِ مُرْدمُ

-وفي قوله تعالى: (فَمَنْ خَافَ مِن مُوصٍ جَنَفاً أَوْ إِثْما)؛ في شرح كلمة "جنفا"، الجَنَف الميل، كقول الأعشى[64]: [الطّويل]

تُجَانِفُ عَنْ حِجْرِ اليَمَامَةِ نَاقَتِي وَمَا قَصَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا لِسِوَائِكَا

وقال عامر الحضرمي: [الوافر]

هُمُ الْمَوْلَى وَقَدْ جَنَفُوا عَلَيْنَا وَإِنَّا مِنْ عَدَاوَتِهِمْ لَزُورُ

-وفي قوله تعالى: (فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي)؛ استجاب من باب استفعل؛ أي طلب الشّيء، إلّا ما شذّ مثل استغنى الله، ويقال أجاب واستجاب بمعنى، ومنه قول الشّاعر[65]: [الطّويل]

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النِّدَا فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

-وفي قوله تعالى: (وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ اَلدِّينُ لله) الآية؛ الدّين الطّاعة والشّرع؛ يقول الأعشى[66]: [الخفيف]

هُوَ دَان اَلرَّبَابِ إِذْ كَرِهُوا الدِّيـ ـــنَ دِراكاً بِغَزْوَةٍ وَصِيَالِ

-وفي قوله تعالى: (فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي الْحَجِّ)؛ الرّفث الجماع وقيل الإفحاش بأمر الجماع عند النّساء خاصّة، وهذا قول ابن عبّاس أيضا، وأنشد وهو محرم:

وَهُنَّ يَمْشِينَ بِنَا هَمِيسَا إِنْ تَصْدُقِ الطَّيْرُ نَنِكْ لَمِيسَا

فقيل له: ترفث وأنت محرم؟ فقال: إنّما الرّفث ما كان عند النّساء، وقال قوم الرّفث الإفحاش بذكر النّساء كان ذلك بحضرتهنّ أم لا ... وقال أبو عبيدة: الرّفث اللّغا من الكلام، وأنشد:

وَرُبَّ أَسْرَابِ حَجِيجٍ كُظُمِ عَنِ اللَّغَا وَرَفَثِ التَّكَلُّمِ"[67]

واكتفى الثّعالبي بقوله: "الرّفث كناية عن الجماع؛ لأنّ الله تعالى كريم يكنّي، قاله ابن عبّاس وغيره، والرّفث في غير هذا ما فحُش من القول، وقال أبو إسحاق: الرّفث كلّ ما يأتيه الرّجل مع المرأة من قبلة ولمس"[68].

-وفي قوله تعالى: (فَإِذَا أَفَضْتُمْ مِنْ عَرَفَات)؛ قال القاضي أبو محمّد: والظّاهر أنّه اسم مرتجل كسائر أسماء البقاع، وعرفة هي نعمان الأراك، وفيها يقول الشّاعر[69]: [الطّويل]

تَزَوَّدْتُ مِنْ نُعْمَانَ عُودَ أَرَاكَةٍ لِهِنْدٍ وَلَكِنْ مَنْ يُبَلِّغُهُ هِنْدَا

-وفي تفسير قوله تعالى: (وَهُوَ أَلَدُّ اَلْخِصَام) الآيات؛ الألدّ الشّديد الخصومة الصّعب الشّكيمة الّذي يلوي الحجج في كلّ جانب فيشبه انحرافه المشي في لديدي الوادي، ومنه لديد الفم، واللّدود، ويقال منه: لَدِدت بكسر العين ألدّ، وهو ذمّ، ومنه قول النّبيّ -صلّى الله عليه وسلّم-: "أبغض الرّجال إلى الله الألدّ الخصم"، ويقال: لدَدته بفتح العين ألُدّه بضمّها إذا غلبته في الخصام، ومنه قول الشّاعر[70]: [الخفيف]

إِنَّ تَحْتَ الأَحْجارِ حَزْماً وَعَزْماً وَخَصِيماً أَلَدَّ ذَا مِعْلَاقِ

-وفي معنى (وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى ..) كقوله تعالى: (وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى) [النّجم: 39]، ومنه: (وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا)؛ ومنه قول الشّاعر: [الرّجز]

أَسْعَى عَلَى حَيِّ بَنِي مَالِكٍ كُلُّ اِمْرِئٍ فِي شَأْنِهِ سَاعِ

–وفي قوله تعالى: (وَيُهْلِكَ اَلْحَرْثَ وَاَلنَّسْلَ)؛ في شرح كلمة (النّسل) مأخوذ من نسل ينسل إذا خرج متتابعا، ومنه قوله تعالى: (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُون) [الأنبياء: 96]، ومنه قول امرئ القيس[71]: [الطّويل]

فَسُلِّي ثِيَابِي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِي

–وفي قوله تعالى: (فَحَسْبُهُ جَهَنَّمَ وَلَبِئْسَ اَلْمِهَاد)؛ "حسبه" أي كافيه معاقبة وجزاء، كما تقول للرّجل كفاك ما حلّ بك، و"المهاد" ما مهد الرّجل لنفسه كأنّه الفراش؛ ومنه قول الشّاعر[72]: [الوافر]

تَحِيَّةُ بَيْنِهِمْ ضرْبٌ وَجِيعُ

–وفي قوله تعالى: (وَمِنَ اَلنَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَه) الآية؛ معنى "يشري" يبيع، ومنه قوله تعالى: (وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْس) [يوسف: 20]، ومنه قول يزيد بن مفرّغ الحميري[73]: [مجزوء الكامل]

وَشَرَيْتُ بُرْداً لَيْتَنِي مِنْ بَعْدِ بُردٍ كُنْتُ هَامَهْ

وقال الآخر: [الكامل]

يُعْطِي بِهَا ثَمَناً فَيَمْنَعُهَا وَيَقُولُ صَاحِبُهُ أَلَا تَشْرِي

–وفي قوله تعالى: (أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَةَ اَللهِ)؛ الرّجاء يكون معه خوف ولابدّ، كما أنّ الخوف معه رجاء، وقد يجيء الرّجاء بمعنى ما يقارنه من الخوف، كما قال الهذليّ: [الطّويل]

إِذَا لَسَعَتْهُ اَلنَّحْلُ لَمْ يَرْجُ لَسْعَهَا وَحَالَفَهَا فِي بَيْتِ نَوْبٍ عَوَامِلُ

وقال الأصمعيّ: إذا اقترن حرف النّفي بالرّجاء كان بمعنى الخوف كهذا البيت[74].

–وفي تفسير قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ) الآية؛ السّائلون هم المؤمنون، و"الخمر" السّتر، ومنه الحديث الشّريف: "خمّروا الإناء"، ومنه خمار المرأة، والخمر ما واراك من الشّجر ونحوه؛ كقول الشّاعر: [الوافر]

أَلَا يَا زَيْدُ وَاَلضَّحَّاكُ سِيرَا فَقَدْ جَاوَزْتُمَا خَمَرَ اَلطَّرِيقِ

أي سيرا مدلين فقد جاوزتما الوهدة التّي يستتر بها الذّئب وغيره، ومنه قول العجاج[75]:

فِي لَامِعِ العُقْبَانِ لَا يَمْشِي الخَمر

و(الميسر) مأخوذ من يسر إذا جزر، والياسر الجازر، ومنه قول الشّاعر: [البسيط]

فَلَمْ يَزَلْ بِكَ وَاشِيهِمْ وَمَكْرُهُمُ حَتَّى أَشَاطُوا بِغَيْبٍ لَحْمَ مَنْ يَسَرُوا

وقول الآخر: [الطّويل]

أَقُولُ لَهُمْ بِالشَّعْبِ إِذْ يَيْسِرُونَنِي أَلَمْ تَيْأَسُوا إِنِّي اِبْنُ فَارِسِ زَهْدَمِ

والجزور الّذي يستهم عليه يسمّى ميسرا لأنّ موضع اليسر، ثمّ قيل للسّهام ميسر للمجاورة، وفي تقسيم الجزور يجعل منها للفقراء؛ ومنه قول الأعشى: [السّريع]

اَلْمُطْعِمُو اَلضَّيْفَ إِذَا مَا شَتَا وَالجاعِلُو القُوتَ على اليَاسِرِ

ومنه قول الآخر: [الطّويل]

بَأَيْدِيهِمُ مَقْرومَةٌ وَمَغالِقُ يَعُودُ بِأَرْزاقِ العُفاةِ مَنِيحُها

والمنيح في هذا البيت المستمنح، لأنّهم يستعيرون السّهم الّذي قد أملس وكثر فوزه، فذلك المنيح الممدوح، وأمّا المنيح الّذي هو أحد الثّلاثة الأغفال فذلك إنّما يوصف بالكرّ، منه قول جرير: [الكامل]

وَلَقَدْ عَطَفْنَ عَلَى فَزارَةَ عَطْفَةً كَرَّ المَنيحِ وجُلْنَ ثَمَّ مَجالَا

ومن الميسر قول لبيد: [الطّويل]

إِذَا يَسِرُوا لَمْ يُورِثِ اليُسْرُ بَيْنَهُمْ فَوَاحِشُ يُنْعى ذِكْرُها بالْمَصايِفِ

والإثم في الخمر ذهاب العقل وما يترتّب عليه من الفحش والإذاية، والمنفعة اللّذة؛ قال حسّان: [الوافر]

وَنَشْرَبُهَا فَتَتْرُكُنا مُلُوكاً وَأُسْداً مَا يُنَهْنِهُنَا اَللِّقَاءُ

–وفي قوله تعالى: (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيض) الآية؛ المحيض مصدر كالحيض، ومثله المقيل من قال يقيل، قال الرّاعي[76]: [الكامل]

بُنِيَتْ مَرَافِقُهُنَّ فَوْقَ مَزَلَّةٍ لَا يَسْتَطِيعُ بِها القُرادُ مَقِيلَا

وقال الطّبري: "المحيض" اسم الحيض، ومنه قول رؤبة في "المعيش": [الرّجز]

إِلَيْكَ أَشْكُو شِدَّةَ الْمَعِيشِ وَمَرَّ أَعْوَامٍ نَتَفْنَ مَعِيشِي

–وفي قوله تعالى: (وَلَا تَجْعَلُوا اَللهَ عُرْضَةً لأَيْمَانِكُمْ) الآية؛ العرضة فُعلة بناء للمفعول؛ أي كثيرا ما يتعرّض بما ذكر؛ تقول جمل عرضة للرّكوب وفرس عرضة للجري، ومنه قول كعب بن زهير[77]: [البسيط]

مِنْ كُلِّ نَضّاخَةِ الذِّفْرَى إِذَا عَرَقَتْ عُرْضَتُهَا طَامِسُ الأَعْلَامِ مَجْهُولُ

–وفي قوله تعالى: (وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ اَلنِّسَاء ..) الآية؛ الخِطبة بالكسر فعل الخاطب من كلام وقصد واستلطاف بفعل أو قول، ورجل خطّاب كثير التّصرّف في الخِطبة، والخُطبة بضمّ الخاء هي الكلام الّذي يُقال في النّكاح وغيره، ومنه قول الشّاعر[78]: [الرّجز]

بَرِحَ بالعيْنَيْنِ خَطّابُ الكَتَبْ يَقُولُ إِنِّي خَاطِبٌ وَقَدْ كَذَبْ
وَإِنَّما يَخْطُبُ عسّا مِنْ حَلَبْ

–وفي قوله تعالى: (وَلَكِنْ لَا تُواعِدُهُنّ سِرّا ..) الآية؛ فُسّر السّرّ في الآية بالزّنا أو أخذ العهود والمواعدة خفية، واعترض ابن عطية بأنّه يقع على الوطء حلاله وحرامه؛ لكن معنى الكلام وقرينته تردّ إلى أحد الوجهين، فمن هذه الشّواهد قول الحطيئة[79]: [الوافر]

وَيَحْرُمُ سِرُّ جَارَتِهِمْ عَلَيْهِمْ وَيَأْكُلُ جارُهُمْ أَنْفَ القِصاعِ

فقرينة البيت تدلّ على أنّه الوطء المحرّم، وقد يُراد به التّحريم مطلقا طلبا للثّأر، كقول الشّاعر: [الطّويل]

أَخالَتَنا سِرُّ النِّساءِ مُحرَّمٌ عَلَيَّ وَتَشْهادُ النَّدامَى مَعَ الخَمْرِ
لَئِنْ لَمْ أُصَبِّحْ دَاهِناً ولَفيفَها وناعِبَها يَوْماً بِراغِيَةِ البِكْرِ

–وفي قوله تعالى: (فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالاً) الآية؛ جمع راجل أو رجل من قولهم رجل الإنسان يرجل رجلا إذا عدم المركب ومشى على قدميه فهو رجل وراجل ورجُل –بضمّ الجيم لغة أهل الحجاز-؛ يقولون: مشى فلان إلى بيت الله حافيا رجُلا، حكاه الطّبريّ وغيره، ورجلان ورجيل ورجل؛ وأنشد ابن الأعرابي في "رجلان"[80]: [الطويل]

عَلَيَّ إِذَا لَاقَيْتُ لَيْلَى بِخلْوَةٍ أَن ازْدارَ بَيْتَ اَللهِ رجلانِ حَافِيَا

–وفي قوله تعالى: (إِلَّا مَنِ اِغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِه)؛ في معنى الاغتراف بالأيدي لنظافته وسهولته، وقد قال عليّ بن أبي طالب: الأكفّ أنظف الآنية، ومنه قول الحسن -رحمه الله-[81]: [البسيط]

لَا يَدْلِفُونَ إِلَى مَاءٍ بِآنِيَةٍ إِلَّا اغْتِرافاً مِنَ الغُدْرانِ بِالرّاحِ

والغرفة كافّة لضرر العطش عند الحزمة من الصّابرين على شظف العيش؛ ومنه قول عروة: [الطّويل]

وَأَحْسُو قَراحَ المَاءِ وَالْماءُ بَارِدُ

–وفي قوله تعالى: (لَا اِنْفِصَامَ لَهَا)؛ الانفصام الانكسار من غير بينونة، وإذا نفي ذلك فلا بينونة بوجه، والفصم كسر ببينونة، وقد يجيء الفصم في معنى البينونة، ومنه قول ذي الرّمّة[82]: [البسيط]

كَأَنَّهُ دُمْلُجٌ مِنْ فِضَّةٍ نبه فِي مَلْعَب مِنْ عَذارَى الحَيِّ مَفْصُومُ

–وفي قوله تعالى: (كَمَثَلِ حَبَّةٍ)؛ الحبّة اسم جنس لما يزدرعه الإنسان ويقتاته، وأشهر ذلك البُرّ[83]، وكثيرا ما يُراد بالحبّ، ومنه قول المتلمّس[84]: [البسيط]

آلَيْتُ حَبَّ العِرَاقِ الدَّهْرَ أُطْعِمُهُ وَالْحَبُّ يَأْكُلُهُ فِي القَرْيَةِ السُّوسُ

-وفي قوله تعالى: (وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْه)؛ يُقال: تيمّم الرّجل كذا وكذا إذا قصده، ومنه قول امرئ القيس[85]: [الطّويل]

تَيَمَّمَتِ الْعَيْنَ الَّتِي عِنْدَ ضَارِجٍ يَفِيءُ عَلَيْهَا اَلظِّلُّ عَرْمَضُها طَامِ

ومنه قول الأعشى: [المتقارب]

تَيَمَّمْتُ قَيْساً وَكَمْ دُونَهُ مِنَ الأَرْضِ مِنْ مَهْمَهٍ ذِي شَزَنْ

-وفي قوله تعالى: (إِلَّا أَنْ تُغْمِضُوا) الآية؛ إمّا أن تكون بمعنى أغمض الرّجل في أمر كذا إذا تساهل فيه ورضي ببعض حقّة وتجاوز، فمن ذلك قول الطّرماح بن حكيم[86]: [الخفيف]

لَمْ يَفُتْنَا بِالوِتْرِ قَوْمٌ وَلِلدُّ لِّ أُنَاسٌ يَرْضَوْنَ بِالإِغْمَاضِ

وإمّا أن يكون من تغميض العين لأنّ الّذي يريد الصّبر على مكروه يغمض عنه عينيه، ومنه قول الشّاعر: [الطّويل]

إِلَى كَمْ وَكَمْ أَشْيَاءَ مِنْكُمْ تُرِيبُنِي أُغمضُ عَنْهَا لَسْتُ عَنْهَا بِذِي عَمى

-وفي قوله تعالى: (تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ اَلنَّاسَ إِلْحَافا)؛ السّيما العلامة، وبعض العرب يقول: السّيمياء بزيادة ياء وبالمدّ؛ ومنه قول الشّاعر: [الطّويل]

لَهُ سِيمِيَاءُ لَا تَشُقُّ عَلَى البَصَرْ

والإلحاف والإلحاح بمعنى واحد، وقيل التّغطية، ومنه اللِّحاف، ومنه قول ابن الأحمر[87]: [الوافر]

يَظَلُّ يَحُفُّهُنَّ بِقُفْقُفَيْهِ وَيُلْحِفُهُنَّ هَفْهَافاً ثَخِينَا

وفي توجيه معنى الآية؛ قال القاضي أبو محمّد: والآية تحتمل المعنيين نفي السّؤال جملة ونفي الإلحاف فقط ... وقال الزّجاج –رحمه الله-: المعنى لا يكون منهم سؤال فلا يكون إلحاف، وهذا كما قال امرؤ القيس: [الطّويل]

عَلَى لَاحِبٍ لَا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ

أي ليس ثمّ منار فيكون هناك اهتداء، وتعقّبه القاضي إن كان أراد الزّجّاج لا يكون منهم سؤال البتّة فذلك لا تعطيه الألفاظ الّتي بعد "لا" .. وإن كان أراد لا يكون منهم سؤال إلحاف فذلك نصّ الآية، وأمّا تشبيهه الآية ببيت امرئ القيس فغير صحيح، وذلك أنّ قوله: على لاحب لا يهتدى بمناره، وقوله الآخر: [البسيط]

قِفْ بِالطُّلُولِ اَلَّتِي لَمْ يَعْفُهَا القَدَمُ

وقول الشّاعر: [المتقارب]

وَمَنْ خِفْتُ مِنْ جَوْرِهِ فِي القَضَا ءِ فَمَا خِفْتُ جَوْرَكَ يَا عَافِيَهْ

وما جرى مجراه ترتيب يسبق منه أنّه لا يهتدى بالمنار، وإن كان المنار موجودا، فلا ينتفي إلّا المعنى الّذي دخل عليه حرف النّفي فقط، وكذلك ينتفي العفا وإن وجد القدم، وكذلك ينتفي الخوف وإن وجد الجور، وهذا لا يترتّب في الآية، ويجوز أن يريد الشّعراء أنّ الثّاني معدوم فلذلك أدخلوا على الأوّل حرف النّفي إذ لا يصحّ الأوّل إلّا بوجود الثّاني؛ أي ليس ثمّ منار، فإذاً لا يكون اهتداء بمنار، وليس ثمّ قدم فإذاً لا يكون عفا، وليس ثمّ جور فإذاً لا يكون خوف ...[88].

-وفي قوله تعالى: (فَإِنْ كَانَ اَلَّذِي عَلَيْهِ اَلْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفا) الآية؛ في معنى السّفه؛ في الأصل يطلق للثّوب السّفيه؛ أي الخفيف النّسج، والسّفه الخفّة، ومنه قول الشّاعر وهو ذو الرّمّة[89]: [الطّويل]

مَشَيْنَ كَمَا اهْتَزَّتْ رِماحٌ تَسَفَّهَتْ أَعَالِيهَا مَرُّ الرِّيَاحِ النَّواسِمِ

-ومنها عند تفسير قوله تعالى: (وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ اَلْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّون) في معنى "أمانيّ"؛ من تمنّى إذا ترجّى، أو إذا تلا، ومنه قول الشّاعر[90]: [الطّويل]

تَمَنَّى كِتَابَ اَللهِ أَوَّلَ لَيْلَةٍ وَآخِرُهُ لَاقَى حِمَامَ المَقَادِرِ

III- خاتمة:

– غلب على المدرسة التّفسيريّة بالغرب الإسلاميّ طابع التّفسير بالأثر، والّتي تهتمّ بتوثيق النّصّ عن طريق العناية بالقراءات إسنادا ونقلا وحفظا ودراسة، والاستئناس والاستشهاد بالأحاديث النّبويّة الشّريفة؛ من الصّحاح والسّنن والمسانيد، وأقوال الرّعيل الأوّل من المُفسّرين؛ من الصّحابة والتّابعين وغيرهم، وتشغل في التّفسير أيضا بفهم النّصّ إعرابا وناسخا ونسوخا وإعجازا، وتتّجه إلى تفسيره وتدبّر معانيه واستخلاص أحكامه.

– احتلّت القراءات رسما وضبطا وتأدية اهتماما خاصّا في تفاسير المغاربة، يولونها اهتماما، ويذكرون اختلافاتها وأسانيدها، مع توجيهها وتأويلها.

– اعتمد المغاربة والأندلسيّون على علوم اللّغة في فهم مفردات القرآن الكريم وآياته وتوجيه معانيه؛ معجما ودلالة وصرفا واشتقاقا ونحوا وبلاغة.

– ظهر تفسير (المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز) لابن عطية الأندلسيّ (ت542هـ) في القرن السّادس الهجريّ، فاعتمد على أمّهات التّفاسير قبله وعلى رأسها تفسير الإمام الطّبريّ (ت310هـ)؛ فاستفاد منها وحرّرها بإيجاز، فكُتب له القبول وانتشر وصار عمدة تفاسير الغرب الإسلامي، فكثُر اعتناؤهم به درسا وتدرسيا وتلخيصا، وصار مصدرا للتّفاسير الّتي جاءت بعده؛ أبرزها تفسير (الجواهر الحسان) لأبي زيد عبد الرّحمن الثّعالبيّ (ت875هـ)، ومحاكمات يحيى الشّاوي (ت1096هـ).

– شكّلت علوم القراءات وعلوم اللّغة صدارة اهتمام ابن عطية في تفسيره، لا يكاد يخلو موضع من تفسيره من إيراد قضية فيهما، واحتوى على مادّة لغويةّ غزيرة اقتطفها من مصادرها؛ سواء بطريقة غير مباشرة من كتب التّفسير الّتي اعتمد عليها، أو من خلال الرّجوع إلى الأصل؛ أي كتب اللّغة.

– ابن عطية سخيّ في إيراد الشّواهد الشّعريّة، وحتّى تكرارها إن استدعى المقام ذلك، في بيان مدلولات المفردات وصرفها واشتقاقها، وفي تقرير المسائل اللّغويّة والقواعد النّحويّة، وبذلك فمن الصّعوبة حصرها وذكرها جميعا في بحث واحد، لذا ينبغي إفراد رسالة علميّة أو كتاب مستقلّ لاستيفاء جميع هذه الجوانب.

– اكتفينا في هذا البحث باستظهار الشّواهد الشّعريّة الّتي استدعاها ابن عطية لشرح بعض مفردات القرآن الكريم؛ واستقرّ عملنا على شواهد مفردات القرآن الكريم في تفسير ابن عطية لسورتي الفاتحة والبقرة.

– ينبغي تخصيص أكثر من عمل أو بحث ودراسة لحصر جميع شواهد اللّغة والصّرف والنّحو والبلاغة، واستيفاء جميع قضاياها، فضلا عن تحليلها ودراستها، ضمن نسق مدرسة الغرب الإسلاميّ في تفسير القرآن الكريم.

– المصادر والمراجع:

– القرآن الكريم برواية ورش عن نافع.

- ابن عاشور، محمّد الفاضل، التفسير ورجاله، دار الكتب الشرقية، تونس، ط2، 1972م.

– ابن العربي، أبو بكر، أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط2، 1387هـ.

– ابن تيمية، الحراني، مقدّمة في أصول التّفسير، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ط1، 1391هـ.

– ابن جزي، أبو القاسم محمّد بن أحمد الكلبي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، تحقيق: اليونسي وإبراهيم عطوه، دار الكتب الحديثة، مصر، دت.

– ابن عطية المحاربي، أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م.

– ابن عطية، عبد الحقّ بن غالب، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تقديم: مجد مكي، دار ابن حزم، بيروت، 2002م.

– أبو حيان، الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ.

– بن حمدة، عبد المجيد، المدارس الكلامية بإفريقية إلى ظهور الأشعريّة، دار العرب، تونس، ط1، 1986م.

– الثّعالبي، عبد الرّحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، تحقيق: عليّ محمّد معوّض وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التّراث العربي، بيروت، ط1، 1997م.

– الرّومي، فهد بن عبد الرّحمن، منهج المدرسة الأندلسيّة في التّفسير صفاته وخصائصه، مكتبة التّوبة، الرياض، ط1، 1997م.

– الطّرهوني، محمّد بن رزق، التّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، بيروت، ط1، 1426هـ.

– عبد الشّافي، عبد السّلام، ابن عطية وتفسيره المحرّر الوجيز، موقع قصّة الإسلام، إشراف الدّكتور راغب السّرجاني، 2020/11/21، 17:18. https://islamstory.com/ar/artical/3408264/

– الكنوني، عبد السّلام، المدرسة القرآنية في المغرب من الفتح الإسلامي إلى ابن عطية، مكتبة المعارف، الرباط، 1981م.

---

[1] – ابن عطية المحاربي، أبو محمّد عبد الحقّ بن غالب بن عطية الأندلسي، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق: عبد السّلام عبد الشّافي محمّد، دار الكتب العلميّة، بيروت، ط1، 2001م، ج1ص34.

[2] – الثّعالبي، عبد الرّحمن، الجواهر الحسان في تفسير القرآن، مرجع سابق، 1997م، ص117.

[3] – ابن جزي، أبو القاسم محمّد بن أحمد الكلبي، التّسهيل لعلوم التّنزيل، تحقيق: اليونسي وإبراهيم عطوه، دار الكتب الحديثة، مصر، دت، ج1ص17.

[4] – أبو حيان، الأندلسي، البحر المحيط، دار الفكر، بيروت، ط2، 1403هـ، ج1ص17.

[5] – ابن تيمية، الحراني، مقدّمة في أصول التّفسير، تحقيق: عدنان زرزور، دار القرآن الكريم، الكويت، ط1، 1391هـ، ص90.

[6] – الرّومي، فهد بن عبد الرّحمن، منهج المدرسة الأندلسيّة في التّفسير صفاته وخصائصه، مكتبة التّوبة، الرياض، ط1، 1997م، ص12، 13.

[7] – أبو بكر، ابن العربي، أحكام القرآن، تحقيق: علي البجاوي، مطبعة عيسى الحلبي وشركاه، ط2، 1387هـ، ج3ص1254.

[8] – انظر: الروّمي، منهج المدرسة الأندلسيّة في التّفسير صفاته وخصائصه، ص19 وما بعدها.

[9] – الروّمي، منهج المدرسة الأندلسيّة في التّفسير صفاته وخصائصه، ص64.

[10] – الروّمي، منهج المدرسة الأندلسيّة في التّفسير صفاته وخصائصه، ص64.

[11] – عبد الشّافي، عبد السّلام، ابن عطية وتفسيره المحرّر الوجيز، موقع قصّة الإسلام، إشراف الدّكتور راغب السّرجاني، https://islamstory.com/ar/artical/3408264/ 2020/11/21، 17:18.

[12] – انظر: ابن عطية، عبد الحقّ بن غالب، المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تقديم: مجد مكي، دار ابن حزم، بيروت، 2002م، ص8–10.

[13] – الطّرهوني، محمّد بن رزق، التّفسير والمفسّرون في غرب إفريقيا، دار ابن الجوزي، بيروت، ط1، 1426هـ، ص530.

[14] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص34.

[15] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص56.

[16] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص56.

[17] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص59.

[18] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص59.

[19] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص67.

[20] – الثّعالبي، الجواهر الحسان، ج1ص164.

[21] – الثّعالبي، الجواهر الحسان، ج1ص165.

[22] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص68.

[23] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص72.

[24] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص73.

[25] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص82، 83.

[26] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص85.

[27] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص136.

[28] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص86.

[29] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص88.

[30] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص196.

[31] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص88.

[32] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص94، وأعاد هذا الشّاهد في تفسير قوله تعالى: (سَيَقُولُ اَلسُّفَهَاءُ ...) (تفسير ابن عطية، ج1ص218).

[33] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص96.

[34] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص101.

[35] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص101، 102.

[36] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص109.

[37] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص114.

[38] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص116.

[39] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص149.

[40] – الثّعالبي، الجواهر الحسان، ج1ص245، 246.

[41] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص155.

[42] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص157.

[43] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص198.

[44] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص127.

[45] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص128.

[46] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص129.

[47] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص210.

[48] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص158.

[49] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص162.

[50] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص304.

[51] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص163.

[52] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص208، وأعاده في ج1ص259. وأضاف شاهدا آخر: [الطّويل]

وَظَلَّ بَنَاتُ اَللَّيْلِ حَوْلِي عُكَّفَا عُكُوفَ البَوَاكِي بَيْنَهُنَّ صَرِيعُ

[53] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص223.

[54] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص228، 229.

[55] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص232، 233، وأعاد هذا المعنى في ج1ص258 من قول الخليل بن أحمد أنّ النّهار من طلوع الفجر دون الشّاهد.

[56] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص233.

[57] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص236.

[58] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص237.

[59] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص238.

[60] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص238.

[61] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص239.

[62] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص242.

[63] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص247.

[64] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ، ج1ص249.

[65] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص256.

[66] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص263.

[67] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص272.

[68] – الثّعالبي، الجواهر الحسان، ج1ص390.

[69] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص274.

[70] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص279، 280.

[71] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص280.

[72] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص281.

[73] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص281.

[74] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص292.

[75] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص292-294.

[76] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص298.

[77] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص300.

[78] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص315.

[79] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص316.

[80] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص324.

[81] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص335.

[82] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص344.

[83] – الثّعالبي، عبد الرّحمن، الجواهر الحسان، ج1ص515، دون الشّواهد الشّعريّة.

[84] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص355.

[85] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص362.

[86] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص363.

[87] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص369.

[88] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص369، 370.

[89] – ابن عطية، المحرر الوجيز، ج1ص380.

[90] – الثّعالبي، عبد الرّحمن، الجواهر الحسان، ج1ص268، وتفسير ابن عطية، ج1ص169.